الأسس الفكرية للنظام الاشتراكي السوري في رواية "نهاية رجل شجاع" لحنا مينه

The Intellectual Foundations of the Syrian Socialist System in Hanna Mina's Novel "The End of a Brave Man"

الدكتور/ علي اصغر روان شاد
الدكتور/ علي بيانلو
ماجستيرة / مليحة متوسّل الحق

قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة يزد، (إيران)
Email: ravanshada@yazd.ac.ir

تاريخ الإيداع: 2024/11/18	تاريخ القبول: 2025/03/15	تاريخ النشر: 2025/03/15

ملخص:

يعتبر حنا مينه من أبرز الأدباء في سوريا، الذي سعى إلى تأكيد الدور الاجتماعي والسياسي للأديب، وكشف مظاهر الخلل والفساد في المجتمع السوري. يهدف هذا البحث، بمنهجه الوصفي- التحليلي، إلى استقصاء الأسس الفكرية للنظام الاشتراكي السوري في رواية "نهاية رجل شجاع" لحنا مينه. تشير نتائج البحث إلى أن الاستعمار، قد ترك آثارًا عميقة على الاقتصاد السوري، لا سيما في القطاعين الزراعي والصناعي، مما أدى إلى تفشي البطالة والفقر. وقد أثار هذا الوضع، غضب العمال الذين طالبوا بتشكيل نقابات عمالية لحماية حقوقهم. يستخدم الكاتب، شخصيات روايته للتعبير عن الأفكار الاشتراكية بطرق مختلفة: منها صريحة ورمزية؛ ليقدم بذلك، صورة حية للواقع الاجتماعي والسياسي في سوريا.

الكلمات المفتاحية: الرواية السورية؛ حنا مينة؛ نهاية رجل شجاع؛ النظام الاشتراكي السوري.

Abstract:

Hanna Mina is considered one of the most prominent literary figures in Syria. He sought to affirm the social and political role of the writer, and to expose the manifestations of corruption and dysfunction within Syrian society. This research, employing a descriptive-analytical methodology, aims to investigate the intellectual foundations of the Syrian socialist system as portrayed in Hanna Mina's novel, "The End of a Brave Man." Research findings indicate that colonialism has left profound and enduring impacts on the Syrian economy, particularly in the agricultural and industrial sectors, resulting in widespread unemployment and poverty. This situation has provoked the anger of workers, who have demanded the formation of labor unions to protect their rights. The author employs the characters in his novel to articulate socialist ideas in various ways, both explicit and symbolic, thus providing a vivid portrayal of the social and political realities in Syria.

Key words: The Syrian Novel; Hanna Mina; The End of a Brave Man; Syrian Socialist System.

1. مقدمة

تعدّ الواقعية الاشتراكية تيارًا أدبيًا نشأ من تفاعل مفهومين رئيسيين: الواقعية والاشتراكية. فالواقعية تقتضي تصوير الواقع كما هو، دون تجميل أو مبالغة، بينما تحمل الاشتراكية في جوهرها دلالات الشراكة والعدالة الاجتماعية. ظهر هذا التيار لأول مرة في الاتحاد السوفيتي، ثم انتشر في الدول ذات الأنظمة الاشتراكية، حيث كان يهدف إلى توظيف الأدب لخدمة الأيديولوجيا الرسمية وتوجيه الوعي الجمعي نحو القضايا الطبقية والاجتماعية. ويُعتبر الكاتب الروسي ماكسيم غوركي (Maxim Gorky) من أبرز رواده، إذ أسهم في بلورة ملامح هذا الاتجاه الأدبي بما يتوافق مع التوجهات السياسية والاجتماعية لعصره.

ارتكزت الواقعية الاشتراكية على إحداث تحولات جوهرية في مضمون العمل الأدبي، فظهرت موضوعات جديدة مثل مناهضة الرأسمالية، والتفاؤل التاريخي، وقضايا الحرب والثورة، والوعي الطبقي للعمال، ودور القيادات الثورية والجيش الأحمر. انطلاقًا من هذه الرؤية، تسعى هذه الدراسة، عبر المنهج الوصفي-التحليلي، إلى استكشاف الأسس الفكرية للنظام الاشتراكي السوري كما تجلّت في رواية نهاية رجل شجاع لحنا مينه، بوصفها نموذجًا يعكس تطبيقات الواقعية الاشتراكية في الأدب العربي.

1-1. أهمية البحث وضرورته

تكمن أهمية هذا البحث، في الكشف عن المبادئ الفكرية للنظام الاشتراكي السوري، وكيفية توظيف الأدب كأداة لتحليل الأنظمة السياسية والاجتماعية. علاوة على ذلك، فإن البحث، يسعى إلى فهم كيفية تناول الكاتب لهذه الأسس، مقدمًا قراءة جديدة لأحد أهم الروائيين العرب.

2-1. أهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى دراسة:
1- رواية "نهاية رجل شجاع" لحنا مينه، لاستقصاء وتبيين المضامين المرتبطة بالأسس الفكرية للنظام الاشتراكي السوري.
2- كيفية علاج حنا مينه، المبادئ الفكرية للنظام الاشتراكي السوري، في رواية "نهاية الرجل الشجاع".

3-1. أسئلة البحث

1- ما هي المضامين المتعلقة بالأسس الفكرية للنظام الاشتراكي السوري، التي تمّ تصويرها في رواية "نهاية رجل شجاع" لحنا مينه؟
2- كيف عالج حنا مينه، المبادئ الفكرية للنظام الاشتراكي السوري، في رواية "نهاية رجل شجاع"؟

4-1. خلفية البحث

شهدت آثار حنا مينه اهتمامًا بحثيًا واسعًا، حيث تناولها العديد من الباحثين في دراساتهم. ومن أبرز هذه الدراسات:

المقالة المعنونة بـ "المضمون الاجتماعي في رواية الشراع والعاصفة" لأديب خضور (عام 1968م): تناولت هذه المقالة، تأثير الأحداث الاجتماعية والسياسية على حياة الشخصيات في رواية "الشراع والعاصفة."

مقالة "الدلالة الاجتماعية للشكل الروائي في روايات حنا مينه" للماضي (سنة 1989م): ركزت هذه المقالة على الجانب الاجتماعي في روايات حنا مينه، مستشهدة بأعمال هذا الكاتب مثل "الثلج يأتي من النافذة"، و"الشمس في يوم غائم"، و"المصابيح الزرق."

كتاب "حنا مينه، كاتب الكفاح والفرح" للباردي (عام 1993م) : قدم هذا الكتاب، دراسة شاملة لحياة حنا مينه وإنتاجه الأدبي، متناولًا جوانب حياته الاجتماعية والسياسية والثقافية والأدبية.

رسالة ماجستير "نقد و تحليل المصابيح الزرق في ضوء الرواية السياسية السورية" لقويدل (سنة 1389ش): عالجت هذه الرسالة، الروايات السياسية السورية، مع التركيز على رواية "المصابيح الزرق" لحنا مينه، وحللت مضامينها السياسية مثل الانقلاب والأفكار الماركسية و... .

مقالة "دراسة تحليلية لرواية الثّلج يأتي من النافذة" للمرادي وخوشقامت (عام 2012م): تحدثت هذه مقالة عن رؤية حنا مينه الواقعية واستخدامه للرمزية في هذه الرواية.

مقالة "جمالية الوصف في رواية (الثلج يأتي من النافذة) " لمتقي زاده وآخرين (سنة 2013م) تناولت هذه المقالة، دور عنصر الوصف وعلاقته بالسياق السياسي في هذه الرواية.

المقالة المعنونة بـ "واكاوى سياست در رمان‌هاى سوريه" (تحليل السياسة فى الروايات السورية) لناظميان ولطيفي (عام 1392ش): حللت هذه مقالة، الروايات السورية، خاصه رواية "الثلج يأتي من النافذة" من الجهة السياسة معتبرة أنها نموذج رائع للرواية السياسية في سوريا.

مقالة "خوانش مؤلّفه‌هاى رئاليسم جادوبى در رمان "الرجل الذي يكره نفسه" نوشته حنا مينه" (قراءة في مكونات الواقعية السحرية في رواية "الرجل الذي يكره نفسه" لحنا مينه) لغلامي (سنة 1392ش): ركزت هذه المقالة على استكشاف عناصر الواقعية السحرية في هذه الرواية، وكيفية توظيفها من قبل حنا مينه.

رسالة ماجستير بعنوان "بررسى تطبيقى سيماى زن و فقر در رمان كابوس كوچ، اثر حنا مينه با رمان جاى خالى سلوچ، اثر محمود دولت آبادى"، (دراسة مقارنة بين صورة المرأة والفقر في روايتي "كابوس كوچ" لحنا مينه و"جاى خالى سلوچ" لمحمود دولت‌آبادي" لأميني فسخودي (عام 1392ش): تناولت هذه الرسالة، بالإضافة إلى تقديم نبذة عن الكاتبين السوري والإيراني، مقارنة بين صورة المرأة والفقر في روايتي "كابوس كوچ" لحنا مينه و"جاى خالى سلوچ" لمحمود دولت‌آبادي.

مقالة "زمان‌پريشي في رواية الأضواء الزرقاء لحنا مينه" (المفارقة الزمنية فى رواية "المصابيح الزرق" لحنا مينة) لسرباز وآخرين، (سنة 1394ش): عالجت هذه المقالة، المفارقة الزمنية في هذه الرواية، متتبعةً بعض المفارقات الزمنية بشكل "الاسترجاع" و"الاستباق" الداخلى والخارجى.

رسالة ماجستير بعنوان "بررسى و تحليل رمان "نهاية رجل شجاع" نوشته حنا مينه" (دراسة وتحليل رواية "نهاية رجل شجاع" لحنا مينه) لمتوسل الحق، (عام 1394ش): تناولت هذه الرسالة، رواية "نهاية رجل شجاع" في إطار عناصرها السردية ومضامينها التربوية والسياسية والاجتماعية.

ضمن هذه الخلفية، نلاحظ أن البحوث السابقة لم تعالج موضوعنا هذا، ودراستنا المعنونة بـ: "الأسس الفكرية للنظام الاشتراكي السوري في رواية (نهاية رجل شجاع) لحنا مينه"، تعدّ من الدراسات الرائدة في مجالها.

1-5. منهج البحث

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي – التحليلي، معالجة رواية "نهاية رجل شجاع" للأديب السوري، حنا مينه، للنفوذ إلى أعماق الموضوع واستكشاف أسراره، محلّلا مضامين الرواية المتعلقة بالأسس الفكرية للنظام الاشتراكي في سوريا.

2. الإطار النظري

2-1. الروائي حنا مينه

حنا مينه (1924- 2018م)، روائي سوري شهير. ولد في مدينة اللاذقية. كتب القصص القصيرة في البداية، في الأربعينات من القرن العشرين، ونشرها في صحف دمشقية كان يراسلها. ثم كتب الروايات والقصص الكثيرة التي كثرت عامًا بعد عام. كانت أولى رواياته الطويلة، "المصابيح الزرق" في عام 1954. ثم توالت إبداعاته وكتاباته بعد ذلك.

كان حنا مينه رائداً للرواية الواقعية الاشتراكية في سوريا، حيث ألهم العديد من الكتاب السوريين ليقتفوا أثره. ونتيجة لذلك، أصبحت الرواية السورية، مرآة عاكسة للأحداث السياسية والاجتماعية التي تشهدها البلاد[1]. يعد حنا مينه، أحد كبار كتاب الرواية في العالم العربي، الذي ساهم في تأسيس رابطة الكتاب السوريين واتحاد الكتاب العرب. تتميز رواياته بالواقعية كما تتميز، باستخدام البحر وأهله كمصدر إلهام صاحبها. ألّف مينه، نحو 40 رواية اجتماعية، من أبرزها: "المصابيح الزرق"، و"نهاية رجل شجاع"، و"الشمس في يوم غائم"، و"بقايا صور"، و ... . واجهت هذه الروايات إقبالًا واسعًا، وتحولت إلى أفلام سينمائية سورية ومسلسلات تلفزيونية.

وانطلاقًا من تأثر حنا مينه بالواقعية الاشتراكية، رسم في رواياته مشاهد حية لمعاناة الفقراء والمحرومين، وتناول قضايا سياسية واجتماعية، وشدّد على أهمية النضال المستمر ضد الفوارق الطبقية؛ لتحقيق العدالة الاجتماعية والتقدم المنشود[2]. كما كان معجبًا بالكاتب الروسي الشهير، ماكسيم غوركي. وقد صرح في كتابه "هواجس في التجربة الروائية" بأنه قد تأثر في روايته الأولى "المصابيح الزرق"، بهذا الكاتب، بشكل كبير[3] حظيت أعمال حنا مينه باهتمام بالغ من قبل الباحثين

العرب والأجانب. وفي هذه الدراسة، نهدف إلى تحليل إحدى رواياته الشهيرة؛ وهي "نهاية رجل شجاع"، بغرض استكشاف المبادئ الفكرية للنظام الاشتراكي السوري، كما تجلت في هذا الأثر الأدبي.

2-2. رواية "نهاية رجل شجاع"

تروي رواية "نهاية رجل شجاع" قصة حياة "مفيد" منذ صباه وحتى وفاته، متتبعة تحولات شخصيته المعقدة. يصور الكاتب شخصية "مفيد" كشخصية مارقة، تتسم بسلوكيات انحرافية، تجعله منبوذًا من قبل أسرته ومعلمه وجيرانه. يدفعه هذا الرفض إلى البحث عن ملاذ آمن، فيلجأ إلى قريبه "إبراهيم الشّنكل"، لكنه سرعان ما يتركه بعد أن يرى الفقر المدقع الذي يعيش فيه. تتخذ حياة "مفيد" منحًى آخر، حين يتذكر صديقه القديم "عبدوش"، ذلك الشاب العنيف الذي كان يعمل في المخبز.

وتدفعه الصدفة إلى مواجهة مع جنود الاحتلال الفرنسي، مما يؤدي إلى سجنه هو وصديقه. وقبل دخوله السجن، يرتبط عاطفياً بفتاة تدعى "لبيبة"، إلا أن تجربة السجن والأحداث اللاحقة تفرق بينهما. وبعد حصوله على الحرية، قرر أن يعيش حياة كريمة، إلا أن الظروف الاجتماعية الصعبة والفقر الملحّ، دفعاه للانضمام إلى عبدوش وحليش في عمليات سرقة في الميناء. وقد أثار ذلك، حفيظة رئيس الميناء "العجوز" الذي كان يستغل عمال الميناء ويستولي على حقوقهم بطريقة ظالمة. وخلال هذه الفترة، أدرك مفيد حجم المعاناة التي يعيشها العمال والفجوة الطبقية الشاسعة.

وتطورت الأحداث ليتورط مفيد في صراع مع يوسف بطحيش، أحد رؤساء العمال، مما أدى إلى سجنه لمدة خمس سنوات. وبعد خروجه من السجن، عانى من البطالة والمرض، مما أثر سلبًا على حالته النفسية. ولجأ إلى بيع البضائع المهرّبة بمساعدة إبراهيم الشنكل. وحقدًا منه، اتهم بطحيش مفيداً بالتهريب إلى دائرة الجمارك، رغم أنه كان أكبر مهرّب في الميناء. وانتهت الأحداث بمقتل أحد موظفي الجمارك على يد مفيد، ثم انتحاره.

تتناول الرواية مجموعة من القضايا الاجتماعية والاقتصادية الهامة، مثل آثار الاستعمار على سوريا، والبطالة، والفقر، والتفاوت الطبقي، وقيمة العمل، وحقوق العمال في التأمين والضمان الاجتماعي وتشكيل النقابات. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الأحداث، تدور في سياق الحرب العالمية الثانية والاحتلال الفرنسي لسوريا. وفي هذا المقال، سنقوم بتحليل هذه القضايا بشكل مفصل.

2-3. الواقعية الاشتراكية

في البداية، تجدر الإشارة إلى أن الواقعية تتعدد أنواعها؛ "تتعدد أشكال الواقعية باختلاف منظور الفنان وانعكاسه في عمله. ومن أبرز هذه الأشكال، "الواقعية النقدية" التي يوجه فيها الفنان سهام انتقاده إلى الظروف السائدة في المجتمع. وغالباً ما يقتصر هذا النوع من الواقعية على إبراز الصراع الطبقي وتأثيره على أفراد المجتمع"[4].

وعندما يتجاوز الصراع الطبقي، حدوده المحدودة ويتسارع نموه، ننتقل من مرحلة الواقعية النقدية إلى مرحلة الواقعية الاشتراكية. وارتباط ظهور هذا النوع من الواقعية، وثيق الصلة بالنمو السريع للوعي الاجتماعي لدى الطبقة العاملة، ويستلزم من الكاتب، إدراكاً كاملاً للمهمة التاريخية التي تضطلع بها البروليتاريا. بعبارة أخرى، يتطلب تطور هذا الأسلوب الجديد، قبول وجهة نظر البروليتاريا الثورية والتزام الكاتب بإحداث ثورة اجتماعية وثقافية. ولن تولد الواقعية الاشتراكية، إلا إذا تبنى الكاتب رؤية عالمية، وهي الرؤية التي تتبناها الطبقة العاملة الثورية؛ يعني الطبقة العاملة الحاكمة في البلدان الاشتراكية[5].

والواقعية الاشتراكية هي أسلوب أدبي وفني، برز خلال فترة حكم الاتحاد السوفيتي، ثم انتشر في الدول الشيوعية الأخرى. يهدف هذا الأسلوب إلى تصوير الواقع بشكل صادق، والمشاركة في التغيير الأيديولوجي، وتنشئة جيل من العمال بروح اشتراكية[6]. ووفقًا لرؤى مؤسسي الواقعية الاشتراكية، فإن أرقى الأعمال الفنية، هي تلك التي تتميز بالواقعية. تعتبر الماركسية أن للفن دورًا اجتماعيًا هامًا وترفض مختلف التيارات الفنية الشكلية، وتعارض التجريد في الفن، وتستهزئ بنظرية "الفن من أجل الفن"[7].

تعد الرواية السياسية، واحدة من أبرز الأنواع الروايات الكلاسيكية، حيث تتخذ من الصراع الأيديولوجي والاجتماعي محورًا أساسيًا لها. وفي السياق الغربي، برزت هذه الرواية، نتيجة التنافس الحاد بين النظام الرأسمالي والنظام الاشتراكي. أما في الأدب العربي، فقد اكتسبت الرواية السياسية أهمية متزايدة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، حيث شهدت المنطقة العربية، تحولات عميقة على المستوى السياسي والاجتماعي، مما جعل القضايا السياسية، تشغل بال المثقفين والجمهور على حد سواء. وتجسد رواية "حرام" ليوسف إدريس، مثالًا صارخًا على هذا النوع من الروايات، حيث تتناول معاناة الطبقة العاملة في ظل الظروف الاقتصادية الصعبة.

وفي سوريا، بدأت الرواية السياسية، تتبلور مع ظهور الحركات القومية التي سعت إلى التحرر من الاستعمار العثماني[8]. وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وسيطرة القوى الاستعمارية على المنطقة العربية، تدهورت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، مما دفع الأدباء إلى استلهام الواقع المعاش، وتحويله إلى أعمال أدبية، تعكس هموم الناس وتطلعاتهم.

لقد أدّت هذه الظروف، إلى أن يكون للأدب القصصي، دور بارز في انعكاس الأحداث. وبما أن الكثير من مشاكل الناس، كانت تنبع من الأوضاع السياسية للبلاد، حاول الروائيون، مستوحين من الموضوعات السياسية أن يجدوا حلاً للمشاكل[9]. وقد صورت العديد من الروايات في الدول العربية، ومنها سوريا، الحركات الشعبية وتطورها من منظور اشتراكي. وقد دفع هذا المنظور، الروائيين إلى الغوص في المشكلات التي يواجهونها، والسعي لاكتشاف أسباب الخلل والاضطرابات السائده في مجتمعاتهم[10].

3. القسم التحليلي: مضامين الأسس الفكرية للنظام الاشتراكي السوري في رواية "نهاية رجل شجاع"

فيما يلي، نقوم بتحليل ودراسة المضامين المتعلقة بالمبادئ الفكرية للنظام الاشتراكي في سوريا، وذلك استنادًا إلى رواية "نهاية رجل شجاع" للكاتب السوري حنا مينة. وهذه المضامين هي: أثر الاستعمار والحرب العالمية الثانية في تشكيل النظام الاشتراكي في سوريا، ومشكلة البطالة، والفقر والبؤس، والفجوة الطبقية والتفاوت الاجتماعي، واستراتيجية النظام الاشتراكي في مواجهة مشكلة الفقر والبطالة، وأصالة العمل، وحق الضمانات الاجتماعية والأمن الوظيفي، وضرورة تأسيس نقابة للعمال.

3-1. أثر الاستعمار والحرب العالمية الثانية في تشكيل النظام الاشتراكي السوري

تمثل الحرب العالمية الثانية والحضور الفرنسي في سوريا، من أهم الموضوعات التي تناولتها هذه الرواية. لقد أدى الاستعمار، إلى تحولات عميقة في النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية في سوريا، مما أسفر عن نشوء نوع من الإقطاع وزيادة الفجوة الطبقية والبطالة في المدن. وقد تركت هذه التغيرات آثارًا بالغة على وعي الطبقات المتوسطة والعمال[11].

وحنا مينه، بوصفه شاهداً على الأحداث السياسية في بلاده، قد جسد هذه الأحداث في معظم رواياته. ومن أبرز هذه الأحداث، الحرب العالمية الثانية التي تركت آثارًا عميقة على أدبه، حيث ساهمت في نشوء المدرسة الواقعية الاشتراكية. ويشير شكري الماضي في تحليله لرواية "المصابيح الزرق" إلى أن الحرب العالمية الأولى، أوقظت الشعور القومي، بينما أثارت الحرب العالمية الثانية، الأفكار الاشتراكية. وبهذا، فإن الصراع الطبقي، يمثل محورًا أساسيًا في روايات مينه، حيث يربط بينه وبين قوة الاحتلال[12]. كما يؤكد الناقد، أديب خضور في تحليله لرواية "الشراع والعاصفة"، أن حنا مينه يبدأ روايته بتأكيد واقع الاحتلال الفرنسي، ويربط بين هذا الاحتلال والإقطاعية والبورجوازية[13].

وإذا ما استعرضنا رواية "نهاية رجل شجاع"، يتضح لنا جليًا أن الروائي قد تناول، في هذا العمل الأدبي، مسألة التواجد الفرنسي في سوريا والصراع الذي نشب بين الشعب السوري والقوات الاستعمارية: "في تلكَ الأيامِ، وأنا أنتقلُ مِن بَيتٍ إلى بيتٍ، عَرفتُ معنى كلامِ إبراهيمَ الشّنكل عن مُقاوَمة المحتَلّينِ، الرّوحِ الوَطنيةِ، الحَماسةِ، الاندفاع، التَّضامُنِ، الحِقد في العُيون والأفواهِ والأيدي، الحِقد على كلِّ ما هو فِرَنسيٌّ، وكلِّ مُتعاونٍ مع الفرنسيين مِن المَلّاكين والأغوات... "[14].

وأثناء فرار البطل من الملاحقة الفرنسية وتنقله من مكان لآخر، يلمس عن كثب الروح القومية المتأججة في نفوس الشعب السوري. فهو يشاهد كيف أن الاحتلال الفرنسي، قد ولّد طبقة من الملاكين المستبدين الذين يتعاونون مع المحتل، مما زاد من حدة الكراهية الشعبية ليس فقط للفرنسيين، بل أيضًا لهذه الطبقة المستغلة.

وتؤكد هذه اللشواهد مجددًا على الآثار السلبية للاستعمار الفرنسي في سوريا: "غداً نَعرِفُ مِن عَبدِ الجَليلِ ماذا صارَ بَعدَنا. ما يَدورُ في البلدِ. ما هي أخبارُ الفرنسيينَ؟ كَيفَ الشّغلُ وَالأسعارُ؟ كيفَ يَعيشُ العبادُ؟ سَيَقولُ لَنا كُلَّ شَيءٍ"[15].

وحضور فرانسه في سوريا، أدى إلى تحولات في النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي فيها. إحدى هذه التغيرات، هي الزيادة السكانية ومع هذا الزيادة، قلت الأراضي الصالحة للزراعة بالنسبة لعدد المزارعين. وبالتالي، زاد الفقر والفاقة في القرى. وتغير آخر في النظام الزراعي، هو تحديث هذا النظام والإنتاج الضخم للمنتجات وزيادة الصادرات. وهذا التحول، أدى إلى ضعف الاقتصاد التقليدي للمجتمع الريفي، الذي كان سابقًا نقطة أمان من البطالة والفقر الناشئ عن نقص الأراضي. وتسببت تقلبات السوق العالمية أيضًا في مديونية الفلاحين ونتيجة لذلك، وقعت الأراضي الزراعية في أيدي بعض سكان المدن وشيوخ القبائل. وأزمة أخرى نشأت نتيجة للاستعمار الغربي، وهي دخول السلع الأوروبية وتوقف الصناعات الوطنية في مدن مثل حلب ودمشق ...[16].

وفي النص أعلاه، يظهر بوضوح تأثير الاستعمار على الوضع الاقتصادي في سوريا؛ بحيث يمكن ملاحظة البطالة وارتفاع الأسعار بوضوح من عبارة "كيف الشغل والأسعار؟". وهذا ما يدل على سوء الأوضاع المعيشية. يبدأ الكاتب بسؤال عن فعل الفرنسيين. ثم يسأل عن حالة العمل وكيفية حياة الناس؛ مما يدل على الآثار السلبية للاستعمار على حياة الشعب السوري. وفي جزء من الرواية، نرى أن بعض العمال الواعين، يحاولون إيقاظ الناس وخاصة العمال الفقراء من سباتهم: "... إبراهيم الشّنكل، رَجلٌ بَسيطٌ، فَقيرٌ، يَبيعُ الخضارَ على عَربةٍ يَدفعُها أمامَه ... وعَليه طَوالَ العامِ أن يَكدَحَ كَدحاً مُتواصلاً... كانَ أبيّاً، عَزيزاً، يَضَعُ في رأسِه أفكاراً حُلوةً يُعاقبونه عَليها ويَسجِنونه دائماً بتُهمةِ تَوزيعِ مَنشوراتٍ ضِدَّ الحُكومةِ الفِرنسيةِ... قامَ بتَوزيعها عَلى بُيوتِ الفلّاحينَ في الليلِ... اجتَمعَ ببعضِ الفلّاحين، وتَكلّم مَعهُم ... عَن العَدالةِ، والأرضِ، ومُقاومةِ الانتدابِ الفِرنسي"[17].

تستخدم في هذه المقاطع، شخصية "إبراهيم شنكل" كرمز للطبقة العاملة الفقيرة، حيث يعكس تجربته الشخصية، هموم الكاتب حنا مينه وانشغالاته بمصير وطنه. وقد دخل مينه عالم السياسة في سن مبكر، وكان من أشد المعارضين للانتداب الفرنسي على سوريا. فأسس، بالتعاون مع مجموعة من أصدقائه، نقابة عمالية في ميناء اللاذقية، والتي شكلت فيما بعد، الإلهام الأساسي لروايته "نهاية رجل شجاع". وقد تعرض مينه للاعتقال عدة مرات؛ بسبب نشاطه السياسي ومقاومته للاحتلال الفرنسي. وبعد استقلال سوريا، تكررت اعتقالاته، بسبب ميوله الشيوعية وتضاربه مع الطبقة الرأسمالية[18].

يدرك مينه جيدًا، أن الاستعمار الفرنسي، هو السبب الرئيسي في فقر العمال. ومع ذلك، فإنه يواصل نضاله رغم الظروف الصعبة التي يعيشها، ورغم اعتقالاته المتكررة. وإذا ما تأملنا هذه المقاطع من الرواية، يتضح لنا أن الشعور القومي قد تولد في نفوس العمال السوريين قبل الشعور الاشتراكي. ومن الآثار الأخرى للاستعمار على الاقتصاد السوري، تحول الاقتصاد إلى اقتصاد زراعي تصديري، مع زيادة كبيرة في واردات السلع الفرنسية، مما أدى إلى تدهور الصناعة المحلية وتوقفها: "كانَ العَملُ، اليومَ، على الفِرنساوي، قُطنٌ، قَمحٌ، شَعيرٌ، عَدسٌ، حِمّصٌ، هذه هي البضائع الّتي نُصَدِّرُها، ومُقابلها نَستَورِدُ كلَّ شَيءٍ: مِنَ الآلةِ إلى الإبرةِ، مِنَ الخَشَبِ والحَديدِ إلى الاسمنتِ والأدواتِ الصّحيّةِ، مِنَ الرُّز والسُّكَّر والبُنّ إلى المحرّكات والأنابيبِ، مِنَ الزُّجاجِ إلى البراميلِ... "[19].

يتحدث مفيد عن عمليات تحميل وتفريغ السفن المحملة بالسلع المصدرة والمستوردة. ويشير التفاوت الكبير بين الكميات الهائلة للسلع المستوردة والقلة الشديدة للسلع المصدرة، إلى حالة الاضطراب الاقتصادي والتوازن التجاري السلبي الذي تعاني منه سوريا، والذي يعود بالأساس إلى آثار الاستعمار الفرنسي. يتضح من النص، أن الصادرات تتكون بشكل أساسي من المنتجات الزراعية، في حين تشكل المنتجات الاستهلاكية الجديدة، الجزء الأكبر من الواردات. وقد أدت هذه الحالة، إلى تفاقم مشكلتي الفقر والبطالة في سوريا.

2-3. مشكلة البطالة

كما سبق، كانت البطالة والفقر من أبرز الآثار السلبية للاستعمار الفرنسي في الريف السوري. وتبرز في الأمثلة التالية، آثار البطالة المتمثلة في الجوع وما يترتب عليه من عواقب وخيمة: "لكن أيُّ ذُلٍّ أن - تَقولَ للآخرينَ إنكَ جائعٌ، وأن تَطلُبَ رَغيفاً، كأيّ مُتسوّلٍ عاجزٍ عَنِ العَملِ؟ الأعوامُ الّتي أمضيتُها في اللّاذقيةِ عَرَّفتني، ولو بِقَدرٍ صَغيرٍ، ما معنى أن يَكونَ الإنسانُ عاطلاً وجائعاً ... وأنا أمامَ هذَينِ الشّرّينِ اللّذين يُكَشّرانِ في وَجهي: البَطالةُ والجُوعُ"[20]. يعتبر مفيد أن أسوأ ما يمكن أن يعانيه الإنسان في

المجتمع، هو البطالة والعوز. فهو يرى في البطالة والجوع شرّين متلازمين يلاحقان الإنسان، مما يجعله يشعر بالذل والهزيمة. وقد عمد الكاتب إلى ربط هاتين الكلمتين؛ أي البطالة والجوع، للإشارة إلى أن البطالة هي السبب الرئيسي للجوع، وهي ما تعكس حالة الفقر المدقع. وفي موضع آخر من الرواية، يلجأ الكاتب إلى لسان بطله ليكشف، بطريقة ساخرة، عن الأوضاع الاجتماعية المتردية، وخاصة مشكلة البطالة وآثارها الوخيمة: "قُلتُ مُصمِّماً: لَنْ أعودَ إلى الشَّيطنةِ أو الرَّذيلةِ أو السَّرِقَةِ، ولكن ماذا لَو انسَدَّتْ الدّروبُ في وَجهي؟ ماذا أفعلُ عِندئذٍ؟ ... أنا قويٌّ وسأعتَمدُ عَلى قُوَّتي، ولَنْ أسمحَ لأيّ إنسانٍ أن يَدُوسَ عَلى رِجلي، أن يمنَعَ عنّي اللُّقمةَ؟..."[21].

يعدّ حنا مينه أحد أبرز رواد الواقعية الاشتراكية، وقد برع في كشف زيف الواقع الاجتماعي وكشف أسباب البطالة والفقر. ففي رؤيته، يعود السبب الرئيسي لهذه الآفات، إلى وجود طبقة مستغلة تمنع الآخرين من الحصول على فرص عمل مناسبة، مما يؤدي حتمًا إلى تفاقم البطالة وزيادة الهوة الطبقية.

تتجسد هذه الرؤية بوضوح في شخصية "مفيد"، بطل رواية مينه. فرغم امتلاكه للكفاءات والقدرات، يسعى مفيد جاهدًا للحصول على عمل شريف، يبعده عن الانحرافات الاجتماعية. ولكن، هل يمكن لمفيد أن يحقق حلمه في ظل نظام اجتماعي يعيق طموحاته؟ وهل يستطيع أن يحمي حقه من الانتهاك من قبل الآخرين، بالاعتماد على قدراته الذاتية وإيجاد عمل مرموق؟ قد تمّ في هذا النصّ، بيانٌ وافٍ لكيفية إعاقة البعض للآخرين في إيجاد عملٍ مناسب: "لم أجِد أيَّ عَملٍ في بانياس، فذَهبتُ إلى اللّاذقية، كُنتُ مُقتَنِعاً، إلى حَدٍّ ما، بَعدَ كلامِ إبراهيم الشّنكل، أنّ عليَّ أن أُغَيّرَ سُلوكي، وَأن أَبدأَ عَملاً شَريفاً، لكن أينَ العَملُ الشّريفُ؟ سَألتُ، فَتّشتُ، رَجَعتُ خائباً، ولأنّني جائعٌ فَقد سَرَقتُ وَسُجنتُ، وَبَعدَ خُروجي، تَعرّفتُ بأشقياءَ أمثالي ... "[22].

تسلط رواية مينه، الضوء على هذه المعضلة الاجتماعية، وتكشف عن الآليات التي تستخدمها بعض الفئات الاجتماعية لمنع الآخرين، من الوصول إلى فرص العمل، مما يؤكد على أهمية مكافحة هذه الممارسات، لضمان العدالة الاجتماعية.

كما أشار الكاتب في مستهل الرواية، إلى غياب عمل مرموق للشخصية الرئيسية؛ فإنه يتناول في منتصفها، سبب بطالتها بشكل صريح وواقعي: "لأنَّ اللّيلَ سَيكونُ بِطانةَ جِسمي، أَلتفُّ به وأحاذرُ الأعداءَ والشّرطةَ وزَعرانَ المرفأ وكُلَّ أولئك الأوغادِ الّذين يَكرهونَ أن يَروا مُنافِساً لهم، ولو كانَ يُريدُ عَملاً شَريفاً"[23].

في هذا المثال، تلعب الليلة، دور ملاذ آمن ومؤقت لـ "مفيد"، فهو يختبئ تحت غطاء الظلام والهدوء الليلي، هربًا من مطاردة أعدائه وأشراره ومنافسه المهنيين. علاوة على ذلك، تعتبر الليلة مكانًا مثاليًا للاختفاء والهروب من ملاحقة الشرطة. وهكذا، تعكس هذه الصورة، واقعاً اجتماعياً مضطرباً

ومتدهوراً في تلك الفترة من تاريخ سوريا. وفي ظل تلك الظروف، كان من الصعب للغاية، حتى على الباحثين عن عمل شريف، أن يجدوا وظيفة مناسبة. فقد أدى غياب فرص العمل المناسبة، والتهديد للأمن الشخصي الناجم عن الاضطرابات، إلى دفع الكثيرين نحو البطالة.

3-3. الفقر والبؤس

بالإضافة إلى مشكلة البطالة التي تطرق إليها الروائي، تبرز مشكلة الفقر كأزمة أخرى تعصف بالمجتمع السوري. وتجدر الإشارة إلى أن مفهوم الفقر، يحظى بتعريفات متباينة بين الباحثين، ويعود سبب هذا التباين إلى اختلاف زوايا النظر التي ينظرون منها إلى هذه القضية. فعادة ما يركز علماء الاقتصاد على أسباب نشوء الفقر وعواقبه، نادرًا ما يتطرقون إلى تحليله من منظور اجتماعي. أما في علم الاجتماع، فيرتبط مفهوما الفقر واللامساواة ارتباطًا وثيقًا. ورغم أن هذين المفهومين مستقلان من الناحية المعنوية، إلا أنهما لا يستخدمان بشكل مستقل؛ ذلك أن الفقر ينتج عن اللامساواة في الدخل، في حين أن اللامساواة الاقتصادية بدورها تدل على وجود فقر. وبشكل عام، يعرف علماء الاجتماع، الفقر بأنه عدم القدرة على تلبية الاحتياجات الأساسية للإنسان على نحو كافٍ[24].

تتميز روايات حنا مينه، بالإضافة إلى اتباعها لمنهجية الواقعية، بارتباطها الوثيق بقضايا الفقراء وهمومهم. فمن خلال هذه الروايات، يرسم الكاتب صورة شاملة للصراعات والتغيرات الاجتماعية التي تشهدها المجتمعات. وقد نجح مينه في تحقيق أهداف الواقعية الأدبية من خلال تحليل وتشخيص مشكلات المجتمع، مع التركيز بشكل خاص على مكافحة الفساد والفقر[25].

وتجسد شخصيات مثل "إبراهيم الشّنكل" و"الأستاذ ماهر"، وهما عاملان واعيان بحقوقهما، رؤية الكاتب في الرواية. فهذه الشخصيات تسعى إلى إبراز معاناة الفقراء، وتحسيس البطل (مفيد) بعمق هذه المشكلة الاجتماعية: "قالَ الأستاذُ ماهرُ بحَسْمٍ:كلّنا نَبْحَثُ عَنِ اللُّقمةِ.//أضافَ: اللُّقمةُ هي رأسُ المشكِلَةِ! //قُلتُ: مُشكلةُ مَن؟ //=مشكلةُ النّاسِ طَبعاً.. حِينَ تَتوَّفرُ اللُّقمةُ للجَميعِ نَكونُ قد أصبَحْنا بخيرٍ. //=ولكنْ لا أحدَ يَموتُ مِن الجوعِ//= وأيضاً لا أحدَ يَشبعُ..قَصَدتُ أبناءَ الشّعبِ، الفقراءَ خُصوصاً"[26].

يمثل حنّا مينة نموذجاً بارزاً للكاتب الواقعي، حيث تتجلى واقعيته في التزامه بإيديولوجية ماركسية، مما جعله يتأثر بالمدرسة الواقعية الاشتراكية التي تركز على حياة الفقراء والصراعات الطبقية وسيرورة النضال والثورات الشعبية. وبناءً على ذلك، فإن أفعال وشخصيات وأحداث رواياته تحمل بصمات هذه المدرسة، إذ تتخللها تحليلات سياسية، تعكس رؤيته للأوضاع السياسية والاجتماعية[27].

يرى "الأستاذ ماهر"، بصفته رمزًا من رموز الحزب الاشتراكي ومناضلًا سياسيًا، أن أبرز التحديات التي تواجه المجتمع، تتمثل في تأمين مقومات العيش الكريم للفئات الفقيرة. ووفقًا لرأيه، فإن الفقر والجوع، هما أصل الداء، فإذا عولجت هذه المسألة، فسوف تعالج مشكلات المجتمع الأخرى. ويؤكد "الأستاذ ماهر" أن العجز عن تأمين القوت اليومي والجوع هما من أبرز نتائج الفقر؛ لدرجة قد تدفع الفرد إلى ارتكاب أفعال مستهجنة من أجل سد رمقه: " [عبدوشُ] أدركْ أنّني جائعٌ وأنّني قادرٌ، دَفعاً لجوُعي، أن أسْطُوَ عَلى الفُرْنِ، وعلى أيّ مَطْعَمٍ، أن أُعارِكْ حتّى تَنْدَلِقَ أحْشائي، بِطَعْنةِ ساطورٍ أو سكّينٍ، قَبلَ أن أرتدَّ عنِ الحُصولِ على ما أريدُ... "[28].

تعتبر الانحرافات السلوكية إحدى الآثار المباشرة للفقر، لا سيما الفقر الناتج عن البطالة. في هذه الرواية، يجسد الكاتب هذه العلاقة من خلال شخصية "مفيد"؛ الشاب القوي الذي عانى من البطالة، مما دفعه إلى الانخراط في سلوكيات منافية للقانون. فالعجز عن تفريغ طاقته الجسدية، إلى جانب المعاناة من الجوع والفقر، دفعه إلى الانحراف. ولم يدرك حقيقة وضع "مفيد" سوى صديقه "عبدوش" الذي سعى جاهداً لإيجاد عمل له في المخبز، أملاً في إنقاذه من براثن البطالة والفقر.

ويرى الكاتب أن السبب الرئيسي لفقر سكان القرية، هو وجود المستعمر الفرنسي وأصحاب الأراضي الكبار، الذين استغلوا موارد البلاد وسكانها: "[إبراهيم الشّنكل]كلُّنا فُقراءُ "كلُّنا في الهوا سَوا"، ولكن لا ذنبَ لنا في فَقرِنا، هناك الأغواتُ، والملّاكونَ، والدّرك، وكُلُّ سُلطةِ الحكومةِ الّتي تَتَرصّدُنا، وتَتَعقَّبُنا، وتَعتَقِلُنا، وتُعذّبُنا، وتَسجُنُنا، //-أتَعرفُ لماذا؟ //-... أجابَ: لأنّنا نُوقظُ النّاسَ، نُفهِمُهُم حُقوقَهم، ونُحرّكُهم للمطالبةِ بخُروج فرنسا، ونَدفَعُهم للأعمال النّافعةِ ... "[29].

يرى "إبراهيم الشّنكل"، بوصفه عاملاً، أن فقره و فقر زملائه ناجم عن وجود الملاكين والمستبدين الذين يتواطؤون مع السلطة. فإذا ما حاول عامل، المطالبة بحقوقه، فإنه يواجه السجن والعقاب الشديد. فهم يخشون وعي العمال؛ إذ يرون في ذلك، تهديدًا لمصالحهم الخاصة.

4-3. الفجوة الطبقية والتفاوت الاجتماعي

بدأت علاقة العامل وصاحبه منذ أن دخل الإنسان مرحلة الإنتاج المعقدة. فبدلاً من أن يعمل كل فرد لنفسه، لجأ البعض إلى استغلال عمل الآخرين، مقابل تقديم الغذاء والملبس والمسكن، ثم المال، وهكذا نشأت علاقة العمل[30]. ولكن هذه العلاقة لم تكن عادلة دائماً، بل شهدت صراعات وتناقضات مستمرة. وفي ظل الاستعمار، كانت مشكلة التفاوت الاجتماعي، ناجمة عن وجود طبقة الإقطاعيين وأصحاب الأراضي الكبار، الذين عمقوا الهوة بين الطبقات. وقد وضع ماركس (Marx)

مسألة الطبقات في صميم تحليلاته، مؤكداً أن العمال والطبقة المستضعفة، سيصبحون واعين بعملية الاغتراب التي يتعرضون لها، وسيثورون ضد البرجوازية[31].

ويرى الكاتب الواقعي، أن مقارنة حياة الطبقة المستغلة بحياة الطبقة المستضعفة، أمر لا يمكن التغاضي عنه؛ فهو يسلط الضوء على المعاناة التي يعيشها البعض مقابل الرفاهية التي يتمتع بها البعض الآخر[32]. وقد تناول حنا مينه، بصفته كاتباً اشتراكياً، مسألة الفجوة الطبقية بشكل واضح، مستخدمًا لغة رمزية لتصوير العلاقة المتوترة بين أصحاب العمل والمشرفين والعمال: "في الفاروسي شيءٌ ما يُجذِبك إليه؛ وجهه الأسمر، فمه المدور، جَبينه العَريض، رُجولته، صَراحته وكذلك اِكتواءه بنار الميناء "معذبٌ! " هذا الانطباعُ الّذي تكوّن لديّ عنه. مِن أين يأتي عذابُه؟ الحرقةُ التي تلذع حلقَه، ما سببُها، هل هذا لأنه عاملٌ؟ قال: إنّها بَيدرٌ مِنَ النّاسِ تمَاماً. ما بَيدرُ الحِنطَةِ أو الشَّعيرِ. في الرّأسِ، حَبّةُ حِنطَةٍ كَبيرةٍ، هِيَ العَجُوزُ، في الرّاق الثّاني حَبّاتٌ مِنَ الحِنطَةِ هُم أزلامُه. بَعدَهُم يأتي رُؤساءُ الفِرَقِ، ثُمّ المسؤولُونَ عَن ورديّاتِ العَملِ. وَبَعدَ ذلك، العُمّالُ. في آخِرِ السُّلّمِ يأتي العُمّالُ؛ هولاءِ يَخضعونَ لمن فَوقهُم، وَالّذين فَوقَهُم لِمن فَوقَهُم أيضاً، وَهكَذا دَرَجاتٌ. العَجُوزُ رتّبَ مَملكَته كَما يُريدُ... رَتّبَها كَما لايَستَطيعُ أفضَلُ مُهَندِسٍ. بِناءٌ كَبيرٌ، وكُلُّ حَجَرٍ لَه دَورٌ، وَالضَّغطُ كُلُّه عَلى الأحجارِ الّتي في الأساسِ؛ عَلى العُمّالِ الّذينَ لَيسَ لَهم سِوى أجرِهِم. بَينَما يَتقاسَمُ الّذينَ فَوقَهُم، الحِصَصَ حَسَبَ دَرجاتِهم. رِجالُ العَجُوزِ يَفوزُونَ بِالحِصّةِ الكُبرى، رُؤساءُ الفِرَقِ بِالحصّةِ الّتي تَليها، وَيَتدَرّجُ الأمرُ نُزولاً عِندَ تَوزيعِ الحِصَصِ، كَما يَتَدرّجُ صُعوداً عِندَ تَوزيعِ العَملِ.الثِّقلُ كُلّهُ عَلى العاملِ، عَلى الحَمّالِ، الّذي وَحدَه يَكُدُّ ... وَالّذينَ أعلى مِنه يَستغلّونَ تَعبَه، وَالمستَغِلُّ الأكبرُ هُوَ العَجُوزُ، هُوَ الّذي يَجمعُ الخُيوطَ في يَدَيهِ، وَالأموالَ في أكياسِهِ ... "[33].

تشكل الشخصيات العاملة، وخاصة تلك الواعية بحقوقها، العمود الفقري لرواية "نهاية رجل شجاع" ويبرز شخصية "الفاروسي" كنموذج للعمال الشرفاء، الذين يتسمون بالشجاعة والصراحة، ويحملون في قلوبهم غصة عميقة؛ فما سبب هذا الحزن الدائم الذي يلازم العامل في الميناء؟ إن العمل الشاق مقابل أجر زهيد، والافتقار إلى التأمين الصحي والاجتماعي، كلها عوامل تساهم في خلق هذا الشعور بالظلم والإحباط. يصور الكاتب، من خلال شخصية "الفاروسي"، الفجوة الطبقية الواسعة في المجتمع، ويصف المجتمع المينائي بأنه عبارة عن "بيدر من الناس"، يتربع على قمته "العجوز" الذي يسيطر على كل خيوط السلطة في الميناء.

ويتكون المجتمع من طبقة الأثرياء، الذين يتنافسون فيما بينهم على السلطة والثروة، وطبقة العمال الفقراء، الذين يشبهون السلالم التي يصعد عليها الأثرياء، وهم في الوقت نفسه، يتحملون وطأة الاستغلال والقمع. ويؤكد الكاتب على العلاقة العكسية بين العمل والأجر؛ حيث يزداد حجم العمل ويتناقص الأجر، مما يؤدي إلى استغلال العمال وانتهاك حقوقهم. ويرى الكاتب أن هذا النظام

الرأسمالي، يؤدي إلى تفاقم الفوارق الطبقية، حيث يزداد الأغنياء ثراءً يوماً بعد يوم، بينما يزداد الفقراء والعمال فقراً، وهو ما يتفق مع نظرية ماركس التي تدعو إلى مجتمع اشتراكي خالٍ من الطبقات.

وفي موضع آخر من الرواية، يعود الكاتب ليؤكد على سيطرة الإقطاعيين ورأس المال، ممثلين بشخصية "العجوز"، الذين يسيطرون على الاقتصاد ويحولون دون التنمية والتقدم: "وبوجودِ العَجوزِ يمّحي رَئيسُ الميناءِ، ... العَجوزُ الّذي لايَكتَرِثُ بالشَّكليّاتِ الإداريّةِ، لايَهتَمُّ بِدُخولِ هذا المرَكبِ، أو هذِهِ السَّفينَةِ، دُخولاً نِظامياً، أو بِخروجِهما، خُروجاً نِظامياً مِنَ الحَوضِ الصَّغيرِ لِلمَرفإِ القَديمِ، أو إبحارِهما بَعدَ إتمامِ المعامِلاتِ، حَسَبَ الأُصولِ. البَحرُ هُوَ المرفأ الآنَ، وَفي البَحرِ الواسعِ، خارجَ الحَوضِ، تَرسُو السُّفنُ، وَعَلاقتُها بِرَئيسِ الميناءِ عَلاقَةٌ وَرقيّةٌ، شَكلِيةٌ، مَتروكَةٌ لَه ولموظّفيه، أمّا إدارةُ الشّغلِ، مِن تَحميلٍ وَتَفريغٍ، فَهيَ في القَبضَةِ الجبّارةِ للعَجُوزِ الجبّارِ، الّذي يَملكُ المواعينَ الخَشَبيَّةَ. وَقَد زادَ في عَدَدِها حتّى أصبحَ لَه أسطُولٌ مِنها"[34].

ونتيجة لاستغلال البعض لمناصبهم ووظائفهم، والسعي وراء الثروات بطرق غير مشروعة، تظهر مشاكل اجتماعية خطيرة كالفقر والفساد والتفاوت الطبقي. وبناءً على ما ذكره حنا مينه، فإن إيجاد النظام الاشتراكي يُعدّ علاجًا فعالاً لمعالجة التفاوت الطبقي بين أفراد المجتمع". ويمضي حنا مينه ليقارن بين مستوى المعيشة للعمال وأرباب العمل، مع التركيز بشكل خاص على اختلاف التغذية بين هاتين الفئتين. كما يلقي نظرة سريعة على أوضاع العمال الغذائية في المجتمعات المتقدمة: " ... تَناولتُ قِطعةَ خُبزٍ وحَبّةَ زَيتونٍ، وكانَ هذا كلَّ مايتألّفُ منه الفُطورُ، فلَيسَ هناك جُبْنٌ، أو بَيْضٌ، وحينَ لاحظَ [برهوم] استغرابي، قالَ:هذا فُطورُ العاملِ،هو فطورُ كلّ يومٍ.//=قُلتُ: نِعمةٌ! //=قالَ: نِعمةٌ بائسةٌ، العامِلُ، في مرافئ العالَم، يتغذّى جَيّداً. //=قلتُ: مَن يتعَبْ يجِبْ أن يَتَغذّى //=قال: نحنُ نَتعَبُ دونَ أن نَتَغذّى، بَينما مُلتزمو العَمل، ... والعَجوز، والزّلمة، يأكلون الأطايبَ. هذه لَيسَت عيشةً ... "[35].

ويؤدي التفاوت الاجتماعي إلى تفاقم المشكلات الاجتماعية؛ حيث يتسبب في انتشار الفساد والسرقة والجريمة. ففي ظل ظروف عدم المساواة، تلجأ فئات واسعة من المجتمع، وخاصة الطبقات العاملة، إلى ارتكاب الجرائم من أجل البقاء. يتنافس هؤلاء الأفراد فيما بينهم، ويتسلط بعضهم على البعض الآخر، مما يؤدي إلى نشوب الصراعات والعنف الذي قد يصل إلى حد القتل: "أنا أعرفُ أنّ في المرفأ عِصاباتٍ، أسماكاً كبيرةً تأكلُ الأسماكَ الصّغيرةَ، وهذه تَأكلُ بدورِها مَن هو أصغرُ منها. حَليشُ يَسرقُ لِيَدْفعَ إلى جَماعتِه، والزّلقُوط يأخذُ إتاواتٍ من اللُّصوصِ الصِّغارِ، ليدْفِعَ إلى اللُّصوص الكِبارِ. وَاللُّصوصُ الكِبارُ لايَسرقونَ فقطْ، بَل يَقتلون أيضاً ... "[36].

يشبه مفيد العصابات التي تتخذ من الميناء وكراً لها بالأسماك في البحر؛ فكما تلتهم الأسماك الكبيرة، الأسماك الصغيرة، كذلك تسلم العصابات الصغيرة ما تسرقه، إلى العصابات الكبيرة وهكذا

دواليك، حتى تصل المسروقات إلى أيدي عصابات أكبر وأكثر تنظيماً. ولا تتوقف هذه العصابات عند السرقة فحسب، بل تمتد جرائمها لتشمل القتل. وهذا يدل على أن صراع البقاء، هو قانون الحياة، وأن هذا الواقع، يعكس بوضوح الهوة الاجتماعية والتناقضات المعيشية.

3-5. استراتيجية النظام الاشتراكي في مواجهة مشكلة الفقر والبطالة

يقدم أوسكار وايلد (Oscar Wilde) رؤية حول الحلول التي يقترحها النظام الاشتراكي لمشكلة البطالة والفقر؛ حيث يرى أن أعظم فائدة الاشتراكية هي خلاص الناس من حياة البؤس. فعندما يجد الناس أنفسهم محاصرين في فقر مدقع، فإنهم لا محالة يتأثرون عاطفياً، ويحاولون حل مشكلة الفقر بالحفاظ على حياة الفقراء أو ترفيههم، ولكن هذا، لا يفعل شيئاً لعلاج المشكلة، بل يزيدها سوءاً. والحقيقة هي أنه يجب علينا إعادة هيكلة المجتمع؛ بحيث يصبح الفقر فيه مستحيلاً. وفي النظام الاشتراكي، سيتغير كل هذا، فلن يعيش أحد بعد الآن في أوكار متسخة، ولن يلد أطفالاً نحيفين في بيئة لا تطاق. ولن يرتبط أمن المجتمع بالأحوال الجوية، ولن نشهد في فصل الشتاء، آلاف العاطلين والمشردين في الشوارع. سيشترك جميع أفراد المجتمع في الثروة والسعادة، ولن يتدهور وضع أي شخص بسبب موجة برد[37]. ونلاحظ مثالاً على هذه الحالة المزرية في هذا القول: "هناك في قَلبِ هذا الجحيمِ، كنّا نَنذرُ أنفسَنا للتّوبةِ.من العاصفةِ، تَعلّمتُ التّوبةَ والصّلاةَ والاستغفارَ وطَلَبَ الرّحمةِ، العاصفةُ تَعرفُ كذبي... وسَنَنزِلُ مِن الجديدِ إلى البَحرِ، لأنّ رِزقَنا في البَحرِ. ما أصعبَ أن تَستخلِصَ رِزقَكَ مِن البَحرِ ... البحّارُ لايَبكي، يَتلقّى كُلَّ بَلاءِ العاصفةِ، ... كلَّ هَولِها، ... وهو ساكتٌ، يُسلّمُ أمرَه للهِ، يَروحُ يَنتظرُ النَّجاةَ أو الموتَ ..."[38].

وهكذا، يسلط الكاتب في النص أعلاه، الضوء على المشاعر الدينية التي تتجلى بوضوح لدى الناس، عند مواجهة الصعاب والمصائب الحياتية؛ إذ يلجأون بدلًا من معالجة المشكلات جذريًا، والسعي الجاد والعمل الشريف، إلى الدعاء والاستغفار والتضرع عند مواجهة الصعاب. وفي سياق متصل، نسمع من لسان بطل القصة، تأكيدًا على أهمية العمل في الحياة الفردية والاجتماعية: "لكنّني لم أبقَ من رِجالهِ [الرّيس بَكري]. كانَ ذلك مُؤسِفاً، وقد افتقدتُ هذا الرّيسَ الكريمَ، الّذي يُقدّرُ رِجالَه المخلِصينَ، ويَعرفُ كَيفَ يُشجّعُهم، يَدفعُهم إلى العَملِ، يُؤاخي بَينَه وَبَينَهم. الشّتاءُ فَرّقَ بَينَنا. كانَ شِتاءً قاسياً، تَواصَلَت فيه العَواصفُ، وهَبّت الأعاصيرُ وشُحَّ الرّزقُ، فالصّيدُ له مَواسمُ، وفي الشّتاءِ يَتوقّفُ الصّيدُ أحياناً. لا يُقلَعُ المركبُ، يُصبحُ الصّيادُ بلا عَملٍ، وقَد استاءَ الرّيس بَكري مِن هذه الحالِ، فباعَ المركَبَ، ووَجدتُ نَفسي، مِن جَديدٍ، بلا عَملٍ، وعُدتُ إلى التّشرّدِ والبَحثِ عَن اللّقمةِ"[39].

ضمن هذا المثال، نلاحظ أن "المفيد" في مرحلة من حياته، كان مشغولًا بالعمل والاجتهاد، إلا أن فصل الشتاء كظاهرة طبيعية، يؤدي إلى توقف نشاط الصيد. ويؤدي هذا التوقف إلى تشرد وفقر وجوع العمال الذين يشتغلون في هذا المجال. يستنتج من أقوال حنا مينه، أن النظام الاشتراكي، يهتم اهتمامًا بالغًا بمسألة العمل، ويسعى إلى حل مشكلة البطالة الناجمة عن العوائق السياسية والاجتماعية والطبيعية. مع أن العوائق الطبيعية نفسها، تحتاج إلى حلول حكومية واجتماعية. وذلك من خلال إدارة سليمة للمشاكل والأزمات الطبيعية والاهتمام باستدامة الوظائف الموسمية أو استبدالها بوظائف أخرى على مدار العام، مما يمكن من تجنب آثارها السلبية.

6-3. أصالة العمل

مذهب أصالة العمل، الذي نشأ وتطور في إنجلترا وهولندا والدول الاسكندنافية، هو قوة تعتمد بشكل أساسي على الطبقات العاملة والمنظمات النقابية. وعندما يصل أنصار هذا المذهب إلى السلطة، فإنهم يسعون لتحقيق ما هو الهدف الرئيسي للاشتراكية، أي المساواة والتأمين للجميع وتنمية الاقتصاد الوطني بطريقة توفر العمل والرفاهية للجميع[40]. يكتب فليسين شاله (Felicien Challayeنقلاً عن جان جوراس:" (Jean Jaurès) لا يوجد هدف أسمى من الهدف الذي فيه يحكم العمل، ولا يوجد فيه استغلال ولا ظلم، وتتضافر جهود جميع الأفراد بحرية، وتكون الملكية الاجتماعية، أساسًا وضمانًا لتطور الفرد وكماله" [41].

والعلم الأخلاقي يؤكد على أهمية الملكية الفردية وقيمة العمل، في حين أن معظم المعاناة المادية والمعنوية تنبع من النظام الرأسمالي. للقضاء على هذه المعاناة، يجب القضاء على هذا النظام. من ناحية أخرى، فإن العمل هو أعظم واجب على الإنسان، وهو السبيل الوحيد الذي يمكن للإنسان من خلاله أن يؤدي دينه للمجتمع. يجب على الناس ألا يعملوا ضد بعضهم البعض، بل يجب أن يعملوا لمساعدة بعضهم البعض. من هنا، تتحدد أولى خصائص المجتمع الاشتراكي. وفي مثل هذا المجتمع، يعمل الجميع من أجل بعضهم البعض؛ أي أن العمل الجماعي يتم بالمشاركة، وكذلك يتم توزيع منتجات العمل بشكل مشترك بين الجميع[42]. وفي رواية "نهاية رجل شجاع"، استعرض الكاتب، بلغة سلسة ومؤثرة، الأثر الإيجابي للعمل من مختلف الجوانب: "لحِقتُ الصّيادينَ، تَعَرَّفتُ بالرّيس بَكري الغطّاس صاحبِ مركبِ الصّيد، رَجوتُه أن يأخُذَني على مَركبِه، أكدّتُ له أنّني ابنُ بحرٍ. وأنّه لَن

يَخسَرَ إذا قَبلَني على مَركبِه، وافقَ... هكذا كانت البِدايةُ. هكذا بَدأتُ العَملَ، وكُنتُ مَسروراً إلى درجةٍ لاتُصدَّقُ"[43].

يناقش هذا النص، العلاقة بين طبيعة العمل ورضا الفرد؛ فالعمل الذي يتناسب مع ميول الفرد، كما في حالة "مفيد" الذي يجد سعادته في العمل البحري، يؤدي إلى تحقيق الشعور بالرضا والإنجاز. كما يستعرض النص، الآثار المتعددة للعمل على حياة الفرد، سواء على مستوى النفسي أو الاجتماعي: "ولأوّل مَرّةٍ في حَياتي، شَعَرتُ أنّني إنسانٌ مُستقيمٌ، يأكُلُ خُبزَه بِعَرَقِ جَبينِه، هذا ما سَرَّني كَثيراً، فَالحياةُ لَيستْ لُعبةً، حَياتي صَعبةٌ، لكنّها حَياةُ جدٍّ، عَرقٌ فيها، وأجدُ لذّةً في هذا العَرقِ، أجدُ عافيةً، فكأنَّ شَيئاً بَدّلني، إلى الصَّوابِ... "[44].

يشكل العمل، عاملاً حيوياً في حياة الإنسان؛ إذ يوفر له الشعور بالاستقلالية والاكتفاء الذاتي، ويمنحه إحساسًا بالهدف والقيمة الذاتية. علاوة على ذلك، يساهم العمل في تعزيز الصحة النفسية والجسدية، حتى عندما فقد قدميه بسبب مرض السكري وأصيب بالاكتئاب لفترة طويلة، استعاد حيويته من خلال العمل اليدوي: "انتَعَشتُ، انتَعَشَ جَسَدي، تَفَتَّحَتْ روحي. تَغَيَّر إحساسي بِنَفسي ... المرضُ لم يَعُدْ يُخيفُني ... الإنسانُ لايَموتُ مَرَّتين ... وعَليَّ أن أعيشَ كأنّني لن أموتَ وأنّني غيرُ مَريضٍ، وأنَّ الحياةَ حُلوَةٌ ... "[45].

ورغم الصعوبات التي واجهها حنا مينه منذ طفولته، والتي دفعته للعمل في سن مبكرة، فقد تشكلت لديه قناعة راسخة بأهمية العمل وشكله؛ فقد رأى أن أي عمل شريف، مهما كان بسيطًا أو صغيرًا، يحمل قيمة كبيرة: "... تَبحَثُ عَن عَملٍ شَريفٍ، أم تَعرضُ نفسكَ للإيجارِ؟ //=أفضّلُ العَمَلَ الشّريفَ إن وُجِدَ.//=سَألَ العاملُ الآخَرُ: وإذا لم يُوجَدْ؟ تَسرقُ، تَقتلُ، تُؤجِر نفسكَ؟ أنتَ في المِيناء. انتبه جيّداً، هنا كلُّ شيءٍ ممكنٌ، ليسَ بَينَ الحَلالِ والحَرامِ إلاّ شَعرةٌ ... الفَقرُ ليسَ عَيباً. العَيبُ ألّا يَشتَغِلَ الإنسانُ، وأن يَضَلَّ الطّريقَ... كُلْ لُقمَتكَ بعرقِ جبينكَ... "[46].

في النص أعلاه، يقترح أحد العمال على مفيد، البحث عن عمل شريف. يحب مفيد العمل، وكما رأينا في مكان آخر من الرواية، يشعره الإحساس بالاستقلال الناتج عنه بالسعادة؛ ولكن المشكلة تكمن في أن ظروف المجتمع للأسف، لا تسمح بإيجاد عمل مناسب براتب مناسب؛ ولكن المؤلف يؤكد على قيمة العمل، وأنه لا يرى في الفقر الناتج عن قلة الدخل عيباً، وما هو مشين للإنسان، هو اللجوء إلى الأعمال المشينة والدخل الحرام؛ ولكن للأسف، تدفع ظروف المجتمع، والسعي لتحقيق ثروة طائلة والاندماج في الطبقة البرجوازية، شباب المدينة إلى ارتكاب جرائم جسيمة كالسرقات والقتل.

3-7. حق الضمانات الاجتماعية والأمن الوظيفي

أول ما يهم في أي عمل أو مهنة، هو الأمن الوظيفي لهذا العمل؛ فـ «الأمن الوظيفي، هو أن لا يكون الفرد معرضًا لخطر فقدان العمل أو التغيرات الوظيفية، وأن يشعر بالأمان الكافي للحصول على عمل مناسب. والحقيقة، أن الأمن الوظيفي، يهتم بهذه المسألة؛ ألا وهي عدم تعرض عمل العمال للخطر وأن يشعر العامل بالأمان والحصانة من أي تهديد بفقدان عمله. وبالطبع، فإن للأمن الوظيفي، مظاهر متنوعة منها: عقد العمل، التمييز، الفصل، التأمين، تأمين البطالة، حقوق العمل الأساسية، وحريّة النقابات[47].

ويتناول حنا مينه، بصفته شخصية مدركة لحقوق العمال، الصعوبات وعدم الأمن الوظيفي التي يعاني منها العمال، ويعرض أحيانًا من خلال شخصيات الرواية التي تمثل العمال، مشاكلهم: "اكتشفتُ الميناءَ فِعلاً، ألقيتُ بنَفسي في عالمها الغَريبِ، عالَمِ العَملِ الشّاقّ، مِن الصّباحِ إلى الغُروب، دُونَ رَحمةٍ، دُون شَفَقَةٍ، ودُون حقٍّ مِن الحُقوق. تَذكّرتُ عبدَ الجليلِ الّذي كانَ يأسِفُ؛ لأنَّ الوَعيَ مَفقودٌ بَينَ عُمّالِ اللّاذقيةِ، سَواءٌ في المِيناءِ أو الرّيجي، أو المِهَن الأخرى. إنّه وَضعٌ أليمٌ حقّاً ... ؟"[48].

يرى بطل الرواية، الميناء مكاناً غريباً؛ يتسم بأبشع أشكال الاستغلال العمالي. فهو يتحدث عن عمال يؤدون أصعب المهام دون أي وعي بحقوقهم المشروعة. وهذا الجهل بحقوق العمال، متفشٍ في جميع المهن والوظائف، ولا يعاني منه سوى الأفراد الواعين أمثال "عبد الجليل". وفي سياق متصل، يروي "مفيد" حادثة لتوضيح انتهاك حقوق أحد العمال: "ماذا سَيَحِلُّ براتبٍ الآنَ؟//=سَيُرسِلونهُ إلى المستشفى الوَطني //=ومَن يَتحمّل النّفقاتِ؟//=العَجوزُ //=ومَن يَدفَعُ تَعويضَ الإصابةِ؟//=لا أحدَ //= قلتُ: كَيفَ لا أحدَ؟ هذه إصابةُ عَملٍ.//=قال: حينَ لاتكونُ هُناك حُقوقٌ، وقَوانينُ تَضْمِنُ هذه الحُقوقَ، تَبقى المسألةُ مِزاجيةً ...//=وبِالنّسبَةِ لإصابَةِ راتِبٍ؟ //=لنيَدفعَ"[49].

وهكذا، في سياق العمل بالميناء، تعرض أحد العمال لحادث عمل، نتج عنه بتر في قدمه؛ وذلك بسبب الإهمال الجسيم من قبل صاحب العمل الذي لم يقم بتأمين العامل وفقاً لأحكام قانون العمل. وقد دفع هذا الحادث، عدداً من العمال إلى المطالبة بحقهم في تشكيل نقابة للعمال للدفاع عن مصالحهم، إلا أن مؤامرات أصحاب النفوذ، حالت دون تحقيق هذا الحق المشروع.

وفي المثال التالي، تجد "لبيبة"، زوجة "مفيد"، نفسها في مأزق صعب بسبب الظروف المالية المتدهورة التي تمر بها أسرتها، بالإضافة إلى عدم توفر تأمين صحي لـ "مفيد". فتضطر للبحث يائسًا عن أي مساعدة لعلاج "مفيد"، وتواجه خلال هذه المحنة، العديد من الصعوبات والعقبات: "ذَهبت وجاءت. طَرَقت الأبوابَ فَلم تُفتَح لها؛ طَرقت أبوابَ النّاسِ فوَجدَت ذاكرتَهم مَيتةً. تَضرّعت للمُختارِ، ومُديريةِ الصّحّةِ وطَبيبِ المستَشفَى. حَصلَت بَعدَ أربعةِ أيامٍ مِنَ الركضِ عَلى وَرقةِ فَقرِ الحالِ"[50].

فهنا تلتجئ "لبيبه"، حاملةً عبء الخجل والتوسل، في رحلة مضنية بين مختار القرية وإدارة المستشفى والطبيب وربما عامل الخدمة الاجتماعية، ساعيةً إلى استجداء مساعدتهم لتغطية تكاليف العلاج وتخفيفها، مستندةً إلى أوضاعها المزرية وفقرها المدقع.

3-8. ضرورة تأسيس نقابة للعمال

إن من أهم مظاهر الأمن الوظيفي، هو حق تأسيس النقابات؛ فالنقابة (Syndicate)، كما يعرفها سوه، هي "تجمع للأشخاص الاعتبارية أو الحقيقية، يهدف إلى الدفاع عن المصالح المشتركة وتقديم وتسويق الكيان"[51]. أما النقابية (Syndicalism)، فهي حركة شعبية تعمل على تنظيم بعض الفئات الاجتماعية والمهنية، بهدف حماية ودفاع عن المصالح الاقتصادية لأعضائها. ويهدف النقابية العمالية إلى الدفاع عن مصالح العمال في مواجهة النظام الاقتصادي القائم، بما في ذلك المسائل المتعلقة بالأجور وشروط العمل وأوقاته والتشغيل والقوانين الاجتماعية والمشاركة في الإدارة[52]. وتعد تأسيس النقابات للدفاع عن حقوق العمال من أهم القضايا التي تم تناولها في هذه الرواية: "قالَ بَرهومُ: أنا مَعَ العُمّالِ طَبعاً //=ولماذا يُريدُ العُمّالُ النّقابةَ؟//=لِتنظيمِ أمورِهِم وتَوحيدِ مَوقِفِهم //=ضدَّ المعلّمينَ؟ //=لا- ضدَّ هذه الفَوْضَى في المرفَأ. //=أيُّ فوضى هذه؟//=فوضى الَّذينَ يَستَغلّونَ العُمّالَ، فإذا فَتَحوا أفواهَهُم ضَرَبوهُم"[53].

وعلى هذا الأساس، يرى العمال الواعون كـ "برهوم" أن أفضل سبيل لدعم زملائهم العمال، هو الإصرار على تأسيس نقابة لهذا الصنف المجتهد، حتى يتمكنوا من خلالها، مواجهة الرؤساء (المعلّمين) والفوضى والاستغلال والظلم السائد في قضايا العمل والعمال. وبالرغم من علمه بأن تحقيق هذا المطلب، قد تنتهي بفقدان حياته، إلا أنه يؤمن بضرورة النضال من أجل الأهداف الكبرى: "أفهَمُ مِن كَلامِك أنّ المطالبةَ بِنِقابةٍ للعُمّالِ لَعبٌ بالذّيلِ؟//=نَعم! المطالبةُ بنقابةٍ لَعبٌ بالذّيلِ.//=وهَل هناك كَثيرٌ من العُمّال يَلعبونَ بأذيالِهم؟ //...=نحنُ نُقامر بأرواحنا"[54].

ويستمر الكاتب في تأكيده على ضرورة تكوين النقابات وتوحيد صفوف العمال لتحقيق أهدافهم النبيلة: "... العَجوزُ لايَستطيعُ شَيئاً مَعَنا مادُمنا مُتَّحِدينَ ... قَدّمنا عَريضةً لِلسّلطات. طالَبْنا بالسّماحِ لَنا بِتأليفِ نِقابةٍ، وبإعطائنا حُقوقَنا. قَرَّرنا الاستِمرارَ في الإضرابِ، ...// ...[مفيد:] أمّا الاجتماعاتُ والتّنظيماتُ فأنا خارِجُها... //=سَتَندمُ يا مفيدُ لأنك خارجُها، يَدُ اللهِ معَ الجَماعةِ ... "[55].

وبناءً على ذلك، يتكاتف العمال لبناء اتحاد قوي، يهدف إلى انتزاع حقوقهم المشروعة من أيدي أصحاب العمل والمشرفين، حتى وصل بهم الأمر إلى الإضراب. وفي هذا السياق، يؤكد أحد العمال أن العزيمة الجماعية والتكاتف هي مفتاح النجاح، وأن قوة الله تعالى، تتجلى بوضوح في التكاتف والتعاون بين البشر.

4. خاتمة

في رواية "نهاية رجل شجاع" لحنا مينه، يتجلى المنظور الاشتراكي للكاتب جليًا من خلال طرحه لمجموعة من القضايا ذات الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية. تتناول الرواية، تأثير الاستعمار على وعي الكتاب الاشتراكيين، وتسليط الضوء على قضايا ملحة كـ: الفقر، والبطالة، والتفاوت الطبقي، والصراع بين العمال وأصحاب العمل، كما تتطرق الرواية إلى قضايا حديثة في ذلك الزمن، مثل التأمين الاجتماعي وتشكيل النقابات العمالية، مما يعكس اهتمام الكاتب بالقضايا العمالية والاجتماعية المعاصرة.

يرى حنا مينه أن من أبرز آثار الاستعمار الفرنسي في سوريا، تفشي البطالة والفقر، لا سيما في المناطق الريفية، مما أدى إلى تدهور الأوضاع المعيشية للسكان.

يعتبر المؤلف أن أهم مشكلة تواجه المجتمع، هي البطالة والفقر والجوع، ويرى أن حل هذه المشكلات، سيؤدي إلى زوال آثارها السلبية وعواقبها الوخيمة.

يؤكد مينه في هذه الرواية، على كرامة العمل والعامل، ويأسف لجهل العمال بحقوقهم ومزاياهم، ويتألم من إهمالهم لهذه الحقوق.

يعتقد الكاتب أن النظام الاشتراكي، مع إيلائه اهتمامًا بالغًا لمسألة العمل، يسعى إلى القضاء على مشكلة البطالة الناجمة عن العقبات السياسية والاجتماعية والطبيعية. وذلك من خلال إدارة صحيحة للمشكلات والأزمات الطبيعية، والاهتمام باستدامة الوظائف الموسمية أو استبدالها بأعمال أخرى في فصول السنة، مما يمكن من تجنب آثارها السلبية.

يولي حنا مينه قدرًا كبيرًا للرفاه الاجتماعي للعمال، ويرى أن الفئة العاملة يجب أن تستفيد من مزايا وامكانيات مناسبة كالتأمين الصحي والخدمات الصحية والنقابات العمالية، لتحسين ظروف حياتهم.

يعرض الكاتب أفكاره من خلال شخصيات القصة، بشكل صريح أو ضمني أو باستخدام الأمثال الجميلة، مستخدمًا مجتمعًا صغيرًا يسمّى الميناء كرمز للمجتمع والبلد، حيث تنتهك حقوق العمال وتوجد تناقضات طبقية كبيرة بين الطبقة العاملة وأصحاب العمل.

التوصيات والاقتراحات:

1- تحليل الخطاب النقدي لرواية "نهاية رجل شجاع" لحنا مينه. (على أساس المنهج النقدي لنورمان فيركلف)
2- دراسة جمالية الوصف في رواية "نهاية رجل شجاع" لحنا مينه.

5. قائمة المصادر والمراجع:

1. آلن بيرو، فرهنگ علوم اجتماعي (انگليسى، فرانسه، فارسي)، ترجمة: باقر ساروخاني، كيهان، طهران، 1366ش.
2. أديب خضور، المضمون الاجتماعي في رواية الشراع و العاصفة، مجلة المعرفة، العدد 91، 1389م، صص 118-130.
3. اسكار وايلد، سوسياليسم و فردگرايى، ترجمة: باوند بهپور، چشمه، ط 1، طهران، 1386ش.
4. اسماعيل اسفنديارى، فقر و انحرافات اجتماعي، زمينه يا انگيزه؟، مجلة مطالعات راهبردي زنان، إيران، الرقم 21، 1382ش، صص 47-57.
5. اليزابت، فوتييه، الإبداع الروائي المعاصر في سورية من 1967 إلى يومنا هذا، ترجمة: ملكة أبيض، وزارة الثقافة، سوريا، 2008م.
6. بوريس، ساچكوف، تاريخ رئاليسم، ترجمة: محمد تقي فرامرزى، تندر، ط1، طهران، 1362ش.
7. توماس سووه، فرهنگ اصطلاحات اجتماعى و اقتصادى، ترجمة: م. آزاده، مازيار، ط1، طهران، 1354ش.
8. حميد عنايت، سيرى در انديشه سياسى عرب، اميركبير، ط 9، طهران، 1391ش.
9. حنّا، مينه، هواجس في التجربة الروائية، دار الآداب، بيروت، 2000م.
10. حنا مينه، نهاية رجل شجاع، دار الآداب، ط 5، بيروت ، 2007م.
11. رضا پرستش و سمانه شكر اللهي، امنيت شغلي كارگران و جايگاه آن در حقوق ايران، مجلة پژوهشگاه حقوقي، إيران، السنة الثانية، 1390ش، صص 75-91.
12. رضا سيّد حسيني، مكتب‌هاى ادبى، نگاره، ط 12، طهران، 1381ش، ج1.
13. رضا ناظميان، سمية لطيفي، واكاوى سياست در رمان‌هاى سوريه با تكيه بر رمان "الثلج يأتي من النافذة"، مجلة لسان مبين، إيران، الرقم 13، 1392ش، صص 96-110.
14. روح الله هادي، تهمينه عطايي، مبانى زيبايى‌شناختى رئاليسم سوسياليستى، مجلة دانشكده ادبيات و علوم انسانى، إيران، الرقم 64، السنة 17، 1388ش، صص 125-146.
15. زهرا اميني فسخودي، بررسى تطبيقي سيماى زن و فقر در رمان كابوس كوچ اثر حنا مينه با رمان جاى خالي سلوچ اثر محمود دولت‌آبادي، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة العلامة الطباطبائي، طهران، 1392ش.
16. شكري الماضي، الدلالة الاجتماعية للشكل الروائي في روايات حنا مينه، مجلة الفصول، العدد 31 و 32، 1989م، صص 142-146.

17. عزّت الله عراقي، نقش قرارداد كار در تنظيم روابط بين كارگر و كارفرما، مجلة دانشكده حقوق و علوم سياسى، إيران، الرقم 14، 1352ش، صص 9-34.
18. فليسين، شاله، سرمايه‌دارى و سوسياليسم، ترجمة: غلامحسين زيركزاده، خلق، ط 2، طهران، 1358ش.
19. مريم قويدل، نقد و تحليل المصابيح الزرق في ضوء الرواية السياسية السورية، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة العلامة الطباطبائي، طهران، 1389ش.
20. مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه (حكاية بحّار، الدّقل، المرفأ البعيد)، الهيئة العامة للكتاب، دمشق، 2011م.

الهوامش

1- رضا ناظميان، سمية لطيفي، واكاوى سياست در رمان‌هاى سوريه با تكيه بر رمان "الثلج يأتي من النافذة"، مجلة لسان مبين، إيران، الرقم 13، 1392ش، ص 101-102.

2 - اليزابت، فوتييه، الإبداع الروائي المعاصر في سورية من 1967 إلى يومنا هذا، ترجمة: ملكة أبيض، وزارة الثقافة، سوريا، 2008م، ص 54.

3 - حنّا، مينه، هواجس في التجربة الروائية، دار الآداب، بيروت، 2000م، ص 8.

4 - بوريس، ساچكوف، تاريخ رئاليسم، ترجمة: محمد تقي فرامرزى، تندر، ط1، طهران، 1362ش، ص 181.

5 - المصدر نفسه، ص 184.

6 - رضا سيّد حسيني، مكتب‌هاى ادبى، نگاره، ط 12، طهران، 1381ش، ج1، ص 303.

7 - روح الله هادي، تهمينه عطايي، مبانى زيبايى‌شناختى رئاليسم سوسياليستى، ص 145.

8 - مريم قويدل، نقد و تحليل المصابيح الزرق في ضوء الرواية السياسية السورية، رسالة ماجستير، الأستاذ المشرف: صادق خورشا، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة العلامة الطباطبائي، طهران، 1389ش، ص 5.

9 - رضا ناظميان، سمية لطيفي، واكاوى سياست در رمان‌هاى سوريه با تكيه بر رمان "الثلج يأتي من النافذة"، ص 97.

10 - شكري الماضي، الدلالة الاجتماعية للشكل الروائي في روايات حنا مينه، مجلة الفصول، العدد 31 و 32، ديسمر، 1989م، ص 142.

11 - حميد عنايت، سيرى در انديشه سياسى عرب، اميركبير، ط 9، طهران، 1391ش، ص 246.

12 - شكري الماضي، الدلالة الاجتماعية للشكل الروائي في روايات حنا مينه، ص 144.

13 - أديب خضور، المضمون الاجتماعي في رواية الشراع و العاصفة، مجلة المعرفة، العدد 91، 1389م، ص 120.

14 - حنا مينه، نهاية رجل شجاع، دار الآداب، ط 5، بيروت ، 2007م، ص 70.
15 - المصدر نفسه، ص 83.
16 - حميد عنايت، سيرى در انديشه سياسى عرب، ص 246.
17 - حنا مينه، نهاية رجل شجاع، ص 43-44.
18 - زهرا اميني فسخودي، بررسى تطبيقي سيماى زن و فقر در رمان كابوس كوچ اثر حنا مينه با رمان جاى خالي سلوچ اثر محمود دولت‌آبادي، رسالة ماجستير، الأستاذ المشرف: رضا ناظميان، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة العلامة الطباطبائي، طهران، 1392ش، ص 5.
19 - حنا مينه، نهاية رجل شجاع، ص 340.
20 - المصدر نفسه، ص 50.
21 - المصدر نفسه، ص 90.
22 - المصدر نفسه: ص 46.
23 - المصدر نفسه، ص 103.
24 - اسماعيل اسفندياري، فقر و انحرافات اجتماعي، زمينه يا انگيزه؟، مجلة مطالعات راهبردي زنان، إيران، الرقم 21، 1382ش، ص 35.
25 - مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه (حكاية بحّار، الدّقل، المرفأ البعيد)، الهيئة العامة للكتاب، دمشق، 2011م، ص 14.
26 - حنا مينه، نهاية رجل شجاع، ص 85-86.
27 - رضا ناظميان، سمية لطيفي، واكاوى سياست در رمان‌هاى سوريه با تكيه بر رمان "الثلج يأتي من النافذة"، ص 101.
28 - حنا مينه، نهاية رجل شجاع، ص 50.
29 - المصدر نفسه، ص 45.
30 - عزّت الله عراقي، نقش قرارداد كار در تنظيم روابط بين كارگر و كارفرما، مجلة دانشكده حقوق و علوم سياسى، إيران،الرقم 14، 1352ش، ص10.
31 - آلن بيرو، فرهنگ علوم اجتماعي (انگليسى، فرانسه، فارسي) ترجمة: باقر ساروخاني، كيهان، طهران، 1366ش، ص 49.
32 - بوريس ساچكوف، تاريخ رئاليسم، تر: محمد تقي فرامرزي، تندر، طهران ، 1362ش، ص 180.
33 - حنا مينه، نهاية رجل شجاع، ص 168.
34 -المصدر نفسه، ص 249-250.
35 - المصدر نفسه، ص 282-283.
36 - المصدر نفسه، ص 126.
37 - اسكار وايلد، سوسياليسم و فردگرايى، تر: باوند بهپور، چشمه، ط 1، طهران، 1386ش، ص 9-11.
38 - حنا مينه، نهاية رجل شجاع، ص 105.
39 - المصدر نفسه، ص 93.

40 - توماس سووه، فرهنگ اصطلاحات اجتماعی و اقتصادی، تر: م. آزاده، مازیار، ط1، طهران، 1354ش، ص 375.

41 - فلیسین، شاله، سرمایه‌داری و سوسیالیسم، تر: غلامحسین زیرک‌زاده، خلق، ط 2، طهران ، 1358ش، ص 40.

42 - المصدر نفسه، ص 36- 38.

43 - حنا مينه، نهاية رجل شجاع، ص 90-91.

44 - المصدر نفسه، ص 219.

45 - المصدر نفسه، ص 394.

46 - المصدر نفسه، ص 155.

47 - رضا پرستش و سمانه شكر اللهي، امنيت شغلي كارگران و جايگاه آن در حقوق ايران، مجلة پژوهشگاه حقوقي، إيران، السنة الثانية، 1390ش، ص76-91.

48 - حنا مينه، نهاية رجل شجاع، ص 223.

49 - المصدر نفسه، ص 290.

50 - المصدر نفسه، ص 373.

51 - توماس سووه، فرهنگ اصطلاحات اجتماعی و اقتصادی ص 262.

52 - آلن بیرو، فرهنگ علوم اجتماعي (انگلیسی، فرانسه، فارسي) ص 416.

53 - حنا مينه، نهاية رجل شجاع، ص 188-189.

54 - المصدر نفسه، ص 291.

55 - المصدر نفسه، ص 347-349.